رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَوْلُهُ: «فَتَسَاوَرْتُ» هُوَ بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ: أَيْ وَثَبْتُ مُتَطَلِّعاً[1].

١١ ــ باب: في المجاهدة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[2]: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(ورواه مسلم. قوله: فتساورت هو بالسين المهملة) وبالراء المهملة أيضاً (أي وثبت متطلعاً لها) أي: حرصت عليها حتى أظهرت وجهي وتصديت له ليرى مكاني فلعله يوليني:

باب المجاهدة

مفاعلة من الجهد أي: الطاقة. فإن الإنسان يجاهد نفسه باستعمالها فيما ينفعها حالاً ومآلا، وهي تجاهده بما تركن إليه بحسب طبعها وجبلتها من ضد ذلك، ولكون المجاهدة مع النفس التي بين جنبي الإنسان، وهي لا تخرج ولا تنفك عنه كان هذا الجهاد الأكبر. وجهاد العدو الخارج الجهاد الأصغر.

(قال تعالى والذين جاهدوا فينا) قال بعض العارفين: هذه الآية صفوة هذه السورة. ومن جملة المجاهدات مجاهدة النفس بالصبر عند الابتلاء، ليعقب ذلك أنس الصفاء وينزع عنه لباس الجفاء، وفي الحديث: «إن ابتلاء المؤمن يذهب عنه درنه» (لنهدينهم سبلنا) أتى بلام الابتداء أو لام جواب القسم المقدر المسند إلى الحق سبحانه، إشارة إلى أنه تعالى يتولى الهداية بنفسه للمجاهدين فيه، وأنه ينعم عليهم بكمال النعمة والجزاء، ولم يقل سبيلي إشارة إلى الإمناح بكثرة المعارف ولطائف الشهود ودوامه، وانهلال سحب الأفضال (وأن الله لمع المحسنين) المحسن من يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه سبحانه يراه، فإذا كان هكذا كان له من شريف المعية ما أشار إليه بقوله إن الله لمع المحسنين. وقد ورد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أنا جليس من ذكرني وأنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه» قال الزركشي في الدرر: رواه البيهقي.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (الحديث: ٣٣).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

وَقَالَ تَعَالَى[١]: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.
وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾: أَيِ انْقَطِعْ إِلَيْهِ.
وَقَالَ تَعَالَى[٣]: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾.
وَقَالَ تَعَالَى[٤]: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾.
وَقَالَ تَعَالَى[٥]: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.
والآيَاتُ فِي الْبابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

(**وقال تعالى: واذكر اسم ربك**) بالتوحيد والتعظيم أي: دم على ذلك (**وتبتل إليه**) في العبادة (**تبتيلاً**) مصدر بتل جيء به رعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتل وأيضاً، فهو أبلغ منه في المعنى لزيادة المبنى، وقيل: إن تبتل في الآية بمعنى بتل (**أي انقطع إليه**) عما سواه انقطاعاً وقيل: أخلص إخلاصاً وقيل: توكل توكلاً قال بعضهم: التبتل رفض الدنيا بما فيها والتماس ما عند الله (**وقال تعالى: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**) أي: الموت (**وقال تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره**) أي: ير ثوابه ففيه تشويق لتقديم العمل الصالح بين يديه ليجد جزاءه عند قدومه عليه. (**وقال تعالى: وما تقدموا لأنفسكم من خير**) بيان لما (**تجدوه عند الله هو خيراً**) مما خلفتم (**وأعظم أجراً**) وهو فصلٌ وما بعده، وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف لاقترانه بمن، ولا يجوز الجمع بينه وبين أل. والمعنى: ما أخرجتم لله خير لكم وأعظم أجراً عند الله مما ادخرتم. قال ﷺ: «أيكم مال وارثه. أحب إليه من ماله. قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وأرثه. قال: اعلموا ما تقولون. قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله. قال: ما منكم من أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله. قالوا: كيف يا رسول الله. قال: إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر».

(**وقال تعالى: وما تفعلوا من خير**) إنفاق أو غيره (**فإن الله به عليم**) فمجاز عليه. (**والآيات**) القرآنية (**في الباب**) أي: باب المجاهدة (**كثيرة معلومة**) وأما الأحاديث النبوية:

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٢) سورة المزمل، الآية: ٨.
(٣) سورة الزلزلة، الآية: ٧.
(٤) سورة المزمل، الآية: ٢٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

وَأَمَّا الاحَادِيثُ:

٩٥ ــ فَالأَوَّلُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ

---

٩٥ ــ (فـ) الحديث (الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال من عادى) من المعاداة ضد الموالاة **(لي)** حال من قوله **(ولياً)** قدم من تأخير، وكان قبل صفة أو ظرف لغو متعلق بالوصف قدم اهتماماً به: وهو من تولى الله بالطاعة والتقوى فتولاه الله بالحفظ والنصرة. من الولي وهو القرب والدنو، فالولي هو: القريب من الله تعالى لتقربه إليه باتباع أوامره واجتناب نواهيه والإكثار من نوافل العبادات، مع كونه لا يفتر عن ذكره ولا يرى غيره بقلبه؛ لاستغراقه في نور معرفته؛ فلا يرى إلا دلائل قدرته ولا يسمع إلا آياته ولا ينطق إلا بالثناء عليه ولا يتحرك إلا في طاعته، وهذا هو المتقي. قال تعالى: ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾[1] **(فقد آذنته)** بالمد **(بالحرب)** أي: أعلمته بأني محارب له أي: أعامله معاملة المحارب من التجلي عليه بمظاهر الجلال والعدل والانتقام. ومن عامله الحق بذلك فإنه لا يفلح، فهو من التهديد في الغاية القصوى، إذ غاية تلك المحاربة الإهلاك، فهي من المجاز البليغ. وكأن المعنى فيه ما اشتملت عليه تلك المعاداة من المعاندة لله تعالى بكراهة محبوبه. والوعيد لمن عادى ولياً من أجل ولايته وقربه من الله تعالى، وذلك كـإيذاء من ظهرت أمارات ولايته باتباع الكتاب والسنة إما بإنكارها عناداً أو حسداً، أو بعدم الجري على ما ينبغي له من التأدب معه، أو بنحو سبه وشتمه من سائر أنواع الإيذاء التي لا مسوغ لها شرعاً مع علم متعاطيها بذلك. أما منازعة الولي في محاكمة أو خصومة، راجعة لاستخراج حق أو كشف غامض؛ فلا يدخل في هذا الوعيد، فقد جرى نوع ما من الخصومة بين أبي بكر وعمر وبين علي والعباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، مع أن الكل أولياء الله تعالى. وإذا علم ما في معاداة الولي من الوعيد والتهديد، علم ما في موالاته من جسيم الثواب وباهر التوفيق والهداية والقرب والتأييد **(وما تقرب إليَّ عبدي)** إضافته للتشريف المؤذن بمزيد الرفعة والتأهل لعلي المقامات **(بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضته عليه)** عيناً كان أو كفاية، كالصلاة وأداء الحقوق إلى أربابها وبر الوالدين ونحو ذلك من

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٤.

كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، . . . . . .

الأمور الواجبات، لأن الأمر بها جازم، فيتضمن أمرين: الثواب على فعلها والعقاب على تركها، بخلاف النفل، فلذا كان الفرض أكمل وأحب إلى الله وأشد تقرباً، وروي أن ثواب الفرض يفضل ثواب النفل بسبعين درجة، وبالجملة فالفرض كالأس، والنفل كالبناء على ذلك الأس. **(وما يزال عبدي)** إضافته لما تقدم **(يتقرب)** وفي رواية: يتحبب **(إليَّ بالنوافل)** أي: بالتطوعات من جميع أصناف العبادات ظاهرها كقراءة القرآن إذ هو من أعظم ما يتقرب به، وكالذكر، وكفى في شرفه قوله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾[1] وباطنها كالزهد والورع والتوكل والرضا، وغير ذلك من سائر أحوال العارفين، سيما محبة أولياء الله تعالى وأحبائه فيه، ومعاداة أعدائه فيه **(حتى أحبه)** بضم أوله. والفعل منصوب، ومحبة الله تعالى للعبد كما تقدم توفيقه لما يرضيه عنه وإثابته ومعاملته بالإحسان، فعلم أن إدامة النوافل بعد أداء الفرائض ــ إذ من غير أدائها لا يعتد بالنوافل، كما يشير إليه تأخير هذه وتقديم تلك ــ تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين يحبهم ويحبونه، ويؤخذ من سياق الحديث أن الولي: إما أن يتقرب بالفرائض بأن لا يترك واجباً ولا يفعل محرماً أو بها مع النوافل، وهذا أكمل وأفضل. ولذا خص بالمحبة السابقة والصيرورة الآتية، وأنه لا سبيل إلى ولاية الله تعالى ومحبته، سوى طاعته التي جاء بها رسول الله ﷺ وما سواها باطل **(فإذا أحببته كنت)** أي: صرت حينئذ **(سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر)** بضم أوله وكسر ثالثه **(به ويده التي يبطش)** بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه.

(بها ورجله التي يمشي بها) قال بعض المحققين: التحقيق أن هذه الصيرورة مجاز، أو كناية عن نصرة الله تعالى لعبده المتقرب إليه بما ذكر، وتأييده وإعانته له وتوليه في جميع أموره، حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التي بها يدرك ويتعين، ولذا جاء في رواية أخرى: «فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي» أي: أنا الذي أقدرته على هذه الأفعال وخلقتها فيه، فأنا الفاعل لذلك لا أنه يخلق أفعال نفسه. أي: سواء الجزئيات والكليات، وهذا يرد على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق أفعاله الجزئيات. وزعم الحلولية والاتحادية بقاء هذا الكلام على حقيقته، وأنه تعالى عين عبده أو حال فيه ضلال وكفر إجماعاً، وما وقع في عبارات بعض العارفين مما يوهم ذلك فليس مراداً لهم.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

وَلَئِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. «آذَنْتُهُ»: أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ. «اسْتَعَاذَنِي»: رُوِيَ بِالنُّونِ وَبِالْبَاءِ[1].

٩٦ ـ الثَّانِي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ

وفهم ذلك منه من قصور فهم الناظر، وإلَّا فَهُم مطهرون من ذلك الاعتقاد الفاسد، كما طهرهم الله تعالى بكمال محبته من سائر المفاسد. **(ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)** مما يخاف وهذه عادة الحبيب مع محبوبه، ولا يحصى عدد من حصل له ذلك، فوقع له مطلوبه وذهبت عنه كروبه من صالحي الأمة، فلا نطيل بذكره خصوصاً، وسيأتي في أثناء الكتاب بعضه، وفي هذا الوعد المحقق المؤكد بالقسم، إيذان بأن من تقرب إليه بما مر لا يرد دعاؤه، وقد لا يجاب الولي إلى سؤاله لعلمه تعالى أن الخير له في غيره مع تعويضه له خيراً منه، إما في الدنيا أو في الآخرة **(رواه البخاري)** وزاد بعد قوله: لأعيذنه: «وما تردد عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» والتكلم في بعض رواته غير مقبول. وانفرد به البخاري عن باقي الكتب الستة، ورواه ابن حبان في صحيحه وأبو داود خارج السنن فيما رواه عنه ابن الأعرابي ورواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، وابن عدي في الكامل، وآخرون. وقد روي الحديث من طريق عائشة وميمونة وعلي وأنس وحذيفة ومعاذ بن جبل وابن عباس وغيرهم، وطريق كل لا تخلو عن مقال، إلا الطريق إلى حذيفة فإن إسناده حسن لكن حديثه غريب جداً **(آذنته)** بالمد **(أعلمته)** هذا معنى آذنته وقوله: **(بأني محارب له)** هذا معنى بالحرب وقوله: **(استعاذني روي بالنون)** أي: طلبني أعيذه. فيكون متعدياً **(وبالباء)** الموحدة أي: اعتصم وتحصن بي.

٩٦ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل)** أي: فهو من الأحاديث القدسية، وقد تقدم في باب الإخلاص فيها بعض البيان والفرق بينهما وبين القرآن أنه معجز، ويتعلق الثواب بتلاوته ولا تجوز روايته بالمعنى ولا مس ما كتب فيه لعلة ولا حمله مع الحدث، ولا كذلك هذه الأحاديث. **(قال:)** أي: الرب سبحانه أو النبي ﷺ راوياً له عن ربه **(إذا تقرب العبد إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإذا تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه)** وفي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: التواضع (١١/٢٩٢، ٢٩٧).

بَاعاً، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

٩٧ ــ الثَّالِثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» .....

نسخة منه: (**باعاً وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة**) كذا في النسخ بحذف الواو من إذا الأولى، والظاهر إثباتها؛ ليدل على أن المذكور بعض حديث أوله: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإذ تقرب إليَّ إلخ» ثم هذا من باب التمثيل في الجانبين. قال الكرماني: قامت البراهين القطعية على استحالة هذه الإطلاقات على الله تعالى، فهي إذاً على سبيل التجوز، والمعنى: من أتى شيئاً من الطاعات ولو قليلاً قابلته عليه بأضعاف من الإثابة والإكرام، وكلما زاد في الطاعة زدته في الثواب، وإن كان إتيانه بالطاعة على التأني؛ تكون كيفية إتياني بالثواب على السرعة، فالغرض أن الثواب راجح على العمل مضاعف عليه، وإطلاق النفس والتقرب والهرولة، وهي من الإسراع، ونوع من العدو عليه تعالى إنما هو مجاز على سبيل المشاكلة، أو على طريق الاستعارة، أو على قصد إرادة لوازمها، وهو من الأحاديث الدالة على كرم أكرم الأكرمين، اللهم ارزقنا حظاً وافراً منه آمين. (**رواه البخاري**) قال ابن الجزري في الحصن بعد أن أورد صدر الحديث إلى قوله: «خير منه» تم الحديث، ورمز إليه أنه رواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه، وفي مختصر جامع الأصول للديبع أخرجه الشيخان والترمذي، وسكت عن الباقي ولعلهما رواياه بالمعنى، والبخاري بخصوص هذا المبنى.

٩٧ ــ (**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله**) وفي نسخة النبي (ﷺ: **نعمتان**) أي: عظيمتان. قال ابن الخازن: أي: ما يتنعم به الإنسان. وقال الطيبي: الحالة الحسنة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة، وقيل: النعمة عبارة عن المنفعة المفعولة على وجه الإحسان إلى الغير، ونعمتان مبتدأ خبره (**مغبون فيهما**) من الغبن وهو الشراء بأضعاف الثمن، أو البيع بدون ثمن المثل، وهو وصفو (**كثير من الناس**) نائب فاعله أو مبتدأ وخبره مغبون، وفيهما ظرف لغو، والجملة الخبر والرابط ضمير الوصف، وأفرد باعتبار لفظ كثير (**الصحة والفراغ**) بدلان من نعمتان بدل مفصل من مجمل. شبه ﷺ المكلف بالتاجر.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه (١٣/٤٢٧).

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

٩٨ ـ الرَّابِعُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَـٰذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. هَذَا لَفْظُ

والصحة أي: في البدن والفراغ أي: من العوائق عن الطاعة برأس المال، لأنهما من أسباب الأرباح ومقدمات نيل النجاح، فمن عامل الله تعالى بامتثال أوامره وابتدر الصحة والفراغ يربح، ومن لا أضاع رأس ماله ولا ينفعه الندم. **(رواه البخاري)** ورواه الترمذي وابن ماجه.

٩٨ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم)** أي: بالتهجد **(من الليل)** أي بعضه، وهو السدس الرابع والخامس غالباً **(حتى تفطر)** بفتح المثناة والفاء وتشديد المهملة، وأصله تتفطر، وهو كذلك في رواية الأصيلي، كما في فتح الباري أي: تتشقق **(قدماه)** وعند النسائي حتى تزلع قدماه بزاي وعين مهملة وللبخاري في رواية: «حتى تورمت قدماه» ولا مخالفة بين هذه الروايات، فإنه إذا حصل النفخ والورم حصل الزلع والتشقق **(فقلت له: لم تصنع هذا)** الأمر الشاق **(يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر)** قال العارف بالله ابن أبي جمرة في أثناء كلام له على حديث: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» ما لفظه: لا يخطر بخاطر أحد أن الذنوب التي أخبر الله تعالى أنه بفضله غفرها للنبي ﷺ، من قبيل ما نقع نحن فيها معاذ الله لأن الأنبياء معصومون من الكبائر بالإجماع، ومن الصغائر التي فيها رذائل. أما الصغائر التي ليس فيها رذائل. ففيها خلاف بين العلماء، الأكثر على أنهم معصومون منها كما عصموا من الكبائر، وهو الحق لأن رتبتهم جليلة، إنما ذلك من قبيل توفية ما يجب للربوبية من الإعظام والإكبار والشكر، ووضع البشرية وإن رفع قدرها حيث رفع، فإنها تعجز عن ذلك بوضعها لأنها من جملة المحدثات، وكثرة النعم على الذي رفع قدره أكثر من غيره فتضاعفت الحقوق عليه فحصل العجز، فالغفران لذلك اهـ. وهو من النفاسة بمكان، وسيأتي في باب أداء الأمانة إن شاء الله تعالى كلام نفيس للقاضي عياض في عصمة الأنبياء وتفصيل الخلاف في ذلك. **(قال: أفلا)** الفاء للسببية عن محذوف التقدير: أأترك التهجد فلا **(أحب أن أكون عبداً شكوراً)** والمعنى: أن المغفرة سبب لكون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة (١١/١٩٦).

الْبُخَارِيُّ. وَنَحْوَهُ في الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ الْمُغيرةِ بْنِ شُعْبَــةَ[١].

٩٩ ــ الْخَامِسُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ ....

التهجد شكراً، فكيف أتركه. قال القرطبي: ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفاً من الذنب وطلباً للمغفرة والرحمة، فمن تحقق غفران الله تعالى له لا يحتاج لذلك. فأفادهم أن لذلك سبباً آخر، هو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه منها شيئاً. والشكر: الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة، فمن كثر منه ذلك سمي شكوراً، ومن ثم قال سبحانه: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[٢] اهـ. ثم الأخذ بهذا الحال من مشاق الأعمال، إنما يطلب ممن لا يفضي به ذلك إلى الملال، كما هو شأنه ﷺ، فإنه كان لا يملُّ من عبادة ربه وإن أضر بدنه، وقد جاء عنه: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» أما من يفضي به لذلك فلا ففي الحديث: اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا. **(متفق عليه)** أي: على أصل المعنى لا على خصوص الراوي والمبنى، بدليل قوله **(هـذا)** أي: المذكور عن عائشة بهذا اللفظ **(لفظ البخاري ونحوه)** أي: بمعناه **(في الصحيحين)** الذي يعبر عنه بالمتفق عليه. **(من رواية المغيرة بن شعبة)** وكذا رواه من رواية الترمذي والنسائي وابن ماجه كما في الجامع الصغير.

٩٩ ــ **(وعن عائشة)** الأخصر وعنها **(رضي الله عنها)** وكأنه عدل إليه لئلا يتوهم أن المغيرة اسم امرأة، والضمير لأقرب مذكور. **(كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر)** أي: الأخير من رمضان، كما يأتي في كلامه وأوله الحادي والعشرون وآخره آخر رمضان **(أحيا الليل)** بأنواع الطاعات ومحل النهي عن قيام الليل كله، الوارد في حديث عبد الله بن عمر فيمن داوم على ذلك جميع ليالي السنة لأنه مضر بالبدن والعقل **(وأيقظ أهله)** للصلاة تنبيهاً لهم على فضل تلك الأوقات، واغتنام صالح العمل فيها. وروى الترمذي من حديث زينب بنت أم سلمة: لم يكن النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام يدع أحداً من أهل بيته يطيق القيام إلَّا أقامه **(وجد)** أي: اجتهد في العبادة زيادة على العادة، وذلك لأن فيه ليلة القدر التي هي خير من

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه (٨/٤٤٩ و٣/٢٢).
وأخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: أكثر الأعمال والاجتهاد في العبادة (الحديث: ٨٠ ــ ٨١).
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

وَشَدَّ «المِئْزَرَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَالْمُرَادُ: الْعَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. وَ«الْمِئْزَرُ»: الإِزَارُ: وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ اعْتِزَالِ النِّسَاءِ. وَقِيلَ الْمُرَادُ: تَشْمِيرُهُ لِلْعِبَادَةِ. يُقَالُ: شَدَدْتُ لِهَذَا الأَمْرِ مِئْزَرِي: أَيْ تَشَمَّرْتُ وَتَفَرَّغْتُ لَهُ[1].

١٠٠ ــ السَّادِسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

ألف شهر (**وشد المئزر. متفق عليه**) ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، كما في الجامع الصغير أيضاً. (**والمراد العشر الأواخر من شهر رمضان**) وقد صرح بهذا في حديث علي عند ابن أبي شيبة والبيهقي من طريق عاصم بن ضمرة عنه، وتقدم مبتداه ومنتهاه (**والمئزر**) بكسر الميم وفتح الزاي وسكون التحتية (**الإزار وهو**) أي: شد المئزر لا الإزار كما قد يتبادر (**كناية عن اعتزال النساء**) هذا ما جزم به عبد الرزاق عن الثوري. واستشهد عليه بقول الشاعر:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو بانت بأطهار

وذكر ابن أبي شيبة عن أبي بكر بن عياش نحوه (**وقيل:**) هو قول الخطابي كما في فتح الباري (**المراد**) منه (**تشميره للعبادة**) على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الإطلاق والتقييد (**يقال: شددت لهذا الأمر مئزري أي تشمرت: وتفرغت له**) قال في فتح الباري: يحتمل أن يريد به الجد في العبادة كما يقال شددت لهذا الأمر مئزري أي: تشمرت له. ويحتمل أن يراد التشمير للعبادة والاعتزال معاً. ويحتمل أن يراد حقيقته. والمجاز كمن يقول: طويل النجاد لطويل القامة، وهو طويل النجاد حقيقة. فيكون المراد شد مئزره حقيقة فلم يحله واعتزل النساء وشمر للعبادة، قال: وقد وقع في رواية عن عاصم بن ضمرة المذكور شد مئزره واعتزل النساء، فعطفه بالواو فيتقوى الاحتمال الأول ا هـ.

١٠٠ ــ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن القوي**) هو من لا يلتفت إلى الأسباب لقوة باطنه، بل يثق بمسبب الأسباب وقال المصنف: هو من له صدق رغبة في أمور الآخرة، فيكون أكثر إقداماً على العبادات. وقيل: المؤمن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: صلاة التراويح، باب: العمل في العشر الأواخر من رمضان (٤/٢٣٣، ٢٣٤).

وأخرجه مسلم في كتاب: الاعتكاف، باب: الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان (الحديث: ٧).

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَز، وَإِن أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»

القوي من صبر على مجالسة الناس وتحمل أذاهم وعلمهم الخير والإرشاد. وقال القرطبي: القوي البدن والنفس الماضي العزيمة الذي يصلح للقيام بوظائف العبادات من الحج والصوم والأمر بالمعروف، وغير ذلك مما يقوم به الدين (خير) أفعل تفضيل، حذفت ألفه تخفيفاً. (**وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**) يعلم المراد به من المراد بضده (**وفي كل**) بالتنوين أي: من المؤمن القوي والمؤمن الضعيف. (**خير**) لاشتراكهما في أصل الإيمان. وخير هنا: مصدرٌ. وهو خلاف الشر. (**أحرص**) أي: استعمل الحرص والاحتياط (**على**) تحصيل (**ما ينفعك**) من أمر دينك ودنياك التي تستعين بها على صيانة دينك وعيالك ومكارم الأخلاق، ولا تفرط في ذلك (**واستعن بالله**) أي: اطلب المعونة منه وتوكل عليه ولا تعتمد على حركاتك ولا على أسبابك، بل الجأ في كل الأمور إليه وتوكل عليه، فمن أعانه أعين، وما أحسن قول بعض العارفين:

إذا لم يعنك الله فيما تريده ... فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك في كل مسلك ... ضللت ولو أن السماك دليل

(**ولا تعجز**) بكسر الجيم على الأفصح، أي: لا تفرط في طلب ذلك وتتعاجز عنه تاركاً للحكمة الإلهية متكلاً على القدرة، فتنسب للتقصير وتلام على التفريط شرعاً وعادةً (**وإن أصابك شيء**) من المقدورات (**فلا تقل: لو أني فعلت**) كذا (**كان كذا وكذا**) كناية عن مبهم. والجملة جواب لو، فيكون فيه ركون إلى العادات وربط للمسببات بأسبابها العادية، وغفلة عن حقائق الأمور، وهو أن كل شيء بقدر مقدور. فلذا قال: (**ولكن**) بسكون النون (**قل: قدر الله**) قال البرهان العلوي: ومن خطه نقلت هو بفتح أوليه المخففين، ورفع الراء هكذا رأيت في نسخة الرزندي، وسماعي «قدر» يعني بصيغة الماضي المعلوم (**وما شاء**) أي: ما شاءه الله (**فعل**) لا رادّ لمراده وهو على كل شيء قدير. ففيه التنبيه على الدواء عند وقوع المقدور، وذلك بالتسليم لأمر الله والرضا بقدر الله، والإعراض عن الالتفات لما مضى، وفات بألّا يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا، لأن ذلك يؤول به إلى الخسران من توهم أن التدبير يعارض سوابق المقادير، وهذا عمل الشيطان. كما قال: (**فإن لو**) بسكون الواو على الحكاية، أي إذا ذُكرت على سبيل معارضة القدر، أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

١٠١ ــ السَّابِعُ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «حُفَّتْ» بَدَلَ «حُجِبَتْ» وَهُوَ بِمَعْنَاه، أَيْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا هَذَا الْحِجَابُ فَإِذَا فَعَلَهُ دَخَلَهَا.

ارتفع لوقع خلاف المقدور. **(تفتح عمل الشيطان)** أي: وساوسه المفضية بصاحبها للخسران، أما إذا أتى بلو على وجه التأسف على ما فات من الخير، وعلم أنه لن يصيبه إلا ما قدر الله تعالى، فليس بمكروه وفيه حديث: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت» الحديث. **(رواه مسلم)** ورواه أحمد وابن ماجه كما في الجامع الصغير.

١٠١ ــ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه: **(أن رسول الله ﷺ قال: حُجبت)** بالمهملة فالجيم مبني للمفعول، والتاء في آخره للتأنيث **(النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره)** قال القرطبي: هو من الكلام البليغ الذي انتهى في البلاغة نهايته، وذلك أنه: مثل المكاره بالخفاف، أي: في رواية مسلم الآتية وبمعناها الحجاب، وهو الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إلى ذلك الشيء إلا بعد أن يتخطى. وفائدة هذا التمثيل، أن الجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره، وبالصبر عليها، وأن النار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها، وقال المصنف: معناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره من الجهد في الطاعات والصبر عن الشهوات، كما لا يصل المحجوب عن الشيء إلا بهتك حجابه، والتجاوز عنه ويوصل إلى النار باتباع الشهوات، والمراد، ما كان محرماً منها لا المباح منها، فلا يدخل في ذلك لكن الإكثار منه مكروه مخافة أن يقسي القلب ويكسل عن الطاعة **(متفق عليه)** في المعنى، ومعظم المبنى بدليل قوله **(وفي رواية مسلم. حفت)** بضم المهملة، وتشديد الفاء **(بدل حجبت)** وبه يندفع اعتراض الصاغاني في المشارق على القضاعي، حيث قال ــ بعد أن رواه بلفظ حجبت وقال: متفق عليه، رواية القضاعي حفت،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (الحديث: ٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: حجبت النار بالشهوات (١١/٢٧٤).

وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (الحديث: ١).

١٠٢ ــ الثَّامِنُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، .....

وقال ابن مالك في شرحها: قال النووي المذكور في الصحيحين: حجبت لا حفت ا هـ. وهو نقل عجيب عن المصنف، ولعله سهو من قلم الناسخ، وإلا فهذا اللفظ رواية مسلم **(وهو)** أي: حفت **(بمعناه)** أي: حجبت أي: معناهما واحد **(أي: بينه وبينها)** أي: النار في الأول، والجنة في الثاني **(هذا الحجاب فإذا فعله)** وخرق الحجاب**(دخلها)**.

١٠٢ ــ **(وعن أبي عبد الله حذيفة)** بضم المهملة، وفتح الذال المعجمة، وسكون التحتية بعدها فاء، **(ابن حسيل)** بكسر المهملة الأولى، وسكون الثانية، ويقال له: حُسيل بالتصغير ولقبه: **(اليمان)** لقب به: لحلفه الأنصار، وهم من اليمن، وإلا فهو عبسي بفتح المهملة، فسكون الموحدة، نسبة إلى عبس بن يعيص بن بنت غطفان ثم ابن قيس عيلان بالمهملة ابن مضر **(رضي الله عنهما)** أسلم حذيفة وأبوه، وشهدا أحداً، وقتل اليمان يومئذ بأيدي المسلمين غلطاً، ونادى حذيفة حينئذ: أبي عباد الله أبي أبي، فما احتجزوا عنه حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، ووهب دمه للمسلمين، وكان حذيفة أحد الرقباء النجباء، وأحد الفقهاء، أهل الفتوى وصاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، والمختص بأخبار الفتن المستقبلة ما ظهر منها وما بطن، وله مقامات محمودة في الجهاد، من أعظمها: ليلة الأحزاب وخبره فيها مشهور، وأبلى في الفتوح، وحمدت مشاهده، وكان فتح همدان والدينور على يديه، وشهد فتح الجزائر. ولاه عمر المدائن، وقال عمر لأصحابه يوماً تمنوا فتمنوا، فقال عمر: لكني أتمنى رجالاً مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان، استعملهم في طاعة الله تعالى، روى عن رسول الله ﷺ مائة حديث ونيفاً اتفقا منها على اثني عشر، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بسبعة عشر توفي بالمدينة سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بأربعين ليلة **(قال: صليت مع النبي ﷺ)** أي في صلاة التهجد ففيه وفي حديث ابن مسعود الآتي الاقتداء في النافلة، وتطويل صلاة الليل **(ذات ليلة فافتتح سورة البقرة)** فيه إطلاق ذلك بلا كراهة، وقيل: إنما يقال: السورة التي تذكر فيها البقرة **(فقلت: يركع عند المائة)** منها وكان القياس في رسم مائة أن تكتب الهمزة بصورة التحتية لانكسار ما قبلها لكنها رسمت بهذه الصورة لئلا تلتبس بصورة منه إذا لم تنقط، وأصلها متى حذفت لامها، وعوض عنها هاء التأنيث **(ثم مضى)** في قراءتها بعد تمام المائة **(فقلت: يصلي بها في ركعة**

فَمَضَى، فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ

فمضى فقلت: يركع بها) فأكملها **(ثم افتتح النساء فقرأها)** إلى آخرها **(ثم افتتح آل عمران فقرأها)** قال القاضي عياض: فيه دليل لمن يقول إن ترتيب السور اجتهادي وليس بتوقيفي، بل وكله ﷺ إلى أمته، وهو قول مالك، وجمهور العلماء، واختاره ابن الباقلاني، وقال: إنه أصح القولين مع احتمالهما قال: والذي يقول إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة، ولا في الصلاة، ولا في الدرس، ولا في التلقين، وإنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك نص، ولا حد تحرم مخالفته، ولذا اختلف في ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان. قال: وأما على قول من يقول: إنه بتوقيف من النبي ﷺ حدده لهم. كما استقر في مصحف عثمان، وإنما اختلفت المصاحف قبل أن يبلغهم التوقيف، والعرض الأخير فتأول قراءته النساء، ثم آل عمران هنا على أنه كان قبل التوقيف في الترتيب، وكانت هاتان السورتان هكذا في مصحف أُبَيّ. قلت: قال بعض المتأخرين: أو إنه فعله لبيان الجواز. قال الباقلاني: ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية بسورة قبل التي قرأها في الأولى. إنما يكره ذلك في ركعة ولمن يتلو في غير صلاة، وقد أباحه بعضهم، وتأول نهي السلف عن قراءة القرآن منكوساً على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها. قال: ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله سبحانه وتعالى على ما هي الآن في المصحف، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها ا هـ. باختصار يسير. **(يقرأ مترسلاً)** أي مرتلاً بتبيين الحروف وأداء حقها **(إذا مر بآية فيها تسبيح)** نحو: ﴿سبح اسم ربك﴾[1] **(سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوّذ)** فيه دليل لاستحباب هذه للقارىء، وهي سنة له مطلقا **(ثم ركع فجعل)** من أفعال الشروع **(يقول:)** في ركوعه **(سبحان ربي العظيم)** وكرر ذلك التسبيح فيه، وبه قال بعض الأئمة، ولم يأخذ أئمتنا بقضية التكرير فيه وفيما يأتي بل قالوا: أقل التسبيح مرة، وأقل الكمال ثلاث، وأكثره إحدى عشرة، واقتضى صريح كلامهم عدم سن الزيادة على ذلك. فإن الذي ذكروه هو ما واظب عليه ﷺ، وما في هذا الحديث وقع نادراً فلم يغيروا به ما علم، واستقر من أحواله ﷺ **(فكان ركوعه)** في الطول **(نحواً)** أي قريباً **(من قيامه)** في القراءة قبله **(ثم رفع**

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ١.

قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ» ، ثُمَّ قَامَ قِيَاماً طَوِيلاً قَرِيباً مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى» فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

١٠٣ ــ التَّاسِعُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ. قِيلَ: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ

رأسه وقال:) عند رفعه (**سمع الله لمن حمده**) أي تقبله منه (**ربنا لك الحمد ثم قام**) أي دام في القيام بعد الرفع من الركوع (**قياماً طويلاً قريباً مما ركع**) أي: من ركوعه أخذ منه ما اختاره المصنف: أن الاعتدال والجلوس بين السجدتين ركنان طويلان لكن المذهب أنهما قصيران؛ لأنهما مقصودان لغيرهما لا لذاتهما، وقد يجاب بأن القرب من الركوع أمر نسبي فليس فيه نص على أنه طول أكثر من التطويل المشروع عندنا، وهو ما يسع أذكاره الواردة فيه وقدر قراءة الفاتحة (**ثم سجد فقال:**) في سجوده (**سبحان ربي الأعلى**) وكرره، والحكمة في جعل العظيم في الركوع، والأعلى في السجود، أن الأعلى لكونه أفعل تفضيل أبلغ من العظيم، والسجود أبلغ في التواضع من الركوع فجعل الأبلغ للأبلغ (**فكان سجوده قريباً من قيامه رواه مسلم**).

١٠٣ ــ (**وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ليلة**) أي التهجد في ليلة فهي منصوبة على الظرفية (**فأطال**) أي القيام طولاً كثيراً زائداً على العادة كما سيأتي مستنده (**حتى هممت**) بفتح الميم الأولى (**بأمر سوء**) بإضافة أمر إلى سوء كذا في فتح الباري وقال بعض شراح الشمائل: بالإضافة وعدمها وفتح السين، وضمها، ولعل اقتصار الحافظ على ما هو الرواية وفي الصحاح المفتوح مصدر نقيض المسرة، والمضموم اسم وساغت الإضافة إلى المفتوح كرجل سوء، ولا يقال: سوء بالضم ا هـ. وقوله: ولا يقال إلخ. رد بالقراءة المتواترة دائرة السوء بالضم، ويرد بأن ما فيه، في إضافة الاسم الجامد، وما فيها بإضافة المصدر، وبينهما فرق ظاهر. (**قيل وما هممت به قال: أن أجلس وأدعه**) قال المصنف: فيه أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار بألا يخالفوا بقول، ولا فعل ما لم يكن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل. (الحديث: ٢٠٣).

وَأَدَعَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

١٠٤ ــ العاشِرُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وعَمَلُهُ؛ فَيَرْجِعَ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

١٠٥ ــ الحَادِي عَشَرَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٣).

حراماً واتفق العلماء على أنه إذا شق على المقتدي في فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود. وإنما لم يقعد ابن مسعود تأدباً مع رسول الله ﷺ اهـ. وفي فتح الباري في الحديث دليل على اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود قوياً محافظاً على الاقتداء بالنبي ﷺ، وما هم بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده قال: وفي الحديث أن مخالفة الإمام في أفعاله معدودة في العمل السيء، وفيه تنبيه على جواز استفادة معرفة ما أبهم من الأقوال وغيرها، لأن أصحاب ابن مسعود ما عرفوا مراده من قوله: هممت بأمر سوء حتى استفهموه عنه فلم ينكر عليهم استفهامهم عنه اهـ. (متفق عليه) ورواه الترمذي في الشمائل.

١٠٤ ــ (وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: يتبع الميت) أي يصحبه إلى قبره **(ثلاثة أهله وماله وعمله)** بالرفع بدل من الفاعل **(فيرجع اثنان ويبقى واحد)** أجمله ثم فصله بقوله على سبيل الاستئناف البياني **(يرجع أهله وماله ويبقى عمله)** ليكون أقر في النفس وأمكن لأنها يجيئها التفصيل، وقد تطلبته واشتاقت إليه وفي الحديث الحث على تحسين العمل ليكون أنيسه في قبره **(متفق عليه)** والسياق للبخاري.

١٠٥ ــ (وعن) عبد الله **(ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله)** الشراك بكسر الشين المعجمة، وبالراء، وآخره كاف، أحد سيور

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: طول القيام في صلاة الليل (٣/١٥، ١٦).
وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (الحديث: ٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: سكرات الموت (١١/٣١٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق (الحديث: ٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعلة (١١/٢٧٥).

١٠٦ ــ الثَّانِي عَشَرَ عَنْ أَبِي فِرَاسٍ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَآتِيهِ بِوُضُوئِهِ .....

النعل التي تكون في وجهه، ويختل المشي بفقده كفقد الشسع بمعجمة ثم مهملتين السير الذي يدخل فيه أصبع الرجل قال ابن مالك: ووجه الأقربية أن يسيراً من الطاعة قد يكون سبباً لدخول الجنة، ومثله من المعصية في النار كما قال **(والنار مثل ذلك)** قال: في فتح الباري: قال ابن بطال في الحديث: أن الطاعة موصلة إلى الجنة، وأن المعصية مقربة إلى النار، وأنهما قد يكونان في أيسر الأشياء وفي هذا المعنى: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة». الحديث فينبغي للمرء ألا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط عليه بها. وقال ابن الجوزي: معنى الحديث: أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة والنار، كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية ا هـ. وقال السعد الكازروني في شرح المشارق: أراد قرب الجنة لمن كان كافراً فأسلم. وقرب النار لمن عكس وكذا لمن أتى بالكبائر **(رواه البخاري)** ورواه أحمد.

١٠٦ ــ (وعن أبي فراس) بكسر الفاء وبالمهملتين بينهما ألف **(ربيعة)** بوزن قبيلة **(ابن كعب)** بن مالك **(الأسلمي)** الحجازي **(خادم رسول الله ﷺ)** حضراً وسفراً **(ومن أهل الصفة)** بضم المهملة وتشديد الفاء محل مسقف آخر المسجد يأوي إليه الفقراء الذين ليس لهم عريف **(رضي الله عنه)** قال أبو نعيم: كان من أحلاس المسجد[1] ومن الملازمين لخدمة رسول الله ﷺ، وله بأهل الصفة اتصال. ثم روي عنه قال: كنت أبيت على باب رسول الله ﷺ وأعطيه الوضوء فأسمعه من الهوي بالليل يقول: سمع الله لمن حمده وللهوي من الليل يقول: الحمد لله رب العالمين. ذكره ابن الجوزي في المتخرج المليح من التنقيح في باب من روى عن النبي ﷺ اثني عشر حديثاً، وقال: قال البرقي: له أربعة أحاديث. قلت: وقد انفرد مسلم عن البخاري فأخرج له هذا الحديث، وروى عنه أصحاب السنن الأربعة. توفي بعد الحرة سنة ثلاث وستين: **(قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ)** على باب بيته لأداء خدمته كما قال: **(فآتيه)** بالمد **(بوضوئه)** بفتح الواو الماء المعد للوضوء

---

(١) أي من الملازمين لكثرة الجلوس في المسجد كالحلس الذي لا يرفع عن ظهر الدابة إلا نادراً. ش.

وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ: «سَلْنِي»، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

بضمها (**وحاجته**) أي: ما يحتاج إليه من لباس وغيره (**فقال: سلني**) حاجة أتحفك بها في مقابلة خدمتك، لأن هذا شأن الكرام ولا أكرم منه ﷺ. ويؤخذ من إطلاقه السؤال أن الله تعالى مكنه من إعطاء كل ما أراد من خزائن الحق. ومن ثم عد أئمتنا من خصائصه ﷺ أن يخص من شاء بما شاء، كجعله شهادة خزيمة بشاهدين، رواه البخاري وإباحة النياحة لأم عطية في آل فلان خاصة رواه مسلم. (**فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة**) أي: أن أكون معك فيها قريباً منك ومتمتعاً بنظرك وقربك حتى لا أفارقك، فلا يشكل حينئذ بأن منزله ﷺ الوسيلة: وهي خاصة به عن سائر الأنبياء، فلا يساويه في مكانه منها نبي مرسل فضلاً عن غيرهم، لأن المراد أن تحصل له مرتبة من مراتب القرب التام إليه، فكنى عن ذلك بالمرافقة (**فقال، أو**) تسأل (**غير ذلك**) لأنه أهون. فأو: عاطفة. ويصح فتح الواو. فالهمزة للاستفهام داخلة على فعل دل عليه السياق. أي: أترجع عن سؤالك هذا لأنه مشق[2] لا تطيقه، وتسأل غيره مما هو أهون منه (**قلت: هو**) أي مسئولي (**ذاك**) الذي ذكرته لا غيره، فلا أرجع عنه وإن كان مشقاً. وعبر عنه ﷺ بذلك الموضوع للبعيد ليدله على بعد هذه المرتبة وعزتها، وأنها لا تحصل بالهوينى، فعدل عنها السائل إلى ذاك الدالة على القرب بالنسبة لذلك، ليعلم بأنه مصمم على أن مسئوله غير مستبعد له؛ لعزمه على امتثال كل ما يؤمر به لأجله فلما علم ﷺ صدقه وقوة عزمه (**قال:**) له (**أعني**) حينئذ (**على نفسك**) المتخلفة بطبعها عن السعي في نيل المعالي لميلها إلى الدعة والرفاهية والشهوات والبطالات، وفي قوله: أعني إشارة إلى أنه ﷺ كان مجتهداً أي: اجتهاد في إصلاحه كغيره، وأنه الطبيب الساعي في شفائه، والطبيب يحتاج لمساعدة المريض بتعاطيه ما يصفه له (**بكثرة السجود**) المحصل لنيل مرتبة القرب المطهر للنفس عن خبائثها، المخرج لها عن شهواتها وعاداتها، وببعدك عن هذه النقائص المؤدي إلى دوام المراقبة يحصل الرقي إلى درجة المرافقة والمجاورة، وفي شرح المشكاة لابن حجر: فمن كثر سجوده؛ حصلت له تلك الدرجة العلية التي لا مطمع في الوصول إليها، إلا بمزيد الزلفى عند الله في الدنيا بكثرة السجود، المومأ إليه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه (الحديث: ٢٢٦).

(٢) (قوله مشق) هو بمعنى شاق وهو خطأ فإن الفعل شق ولم يسمع منه غير الثلاثي في شيء من كتب اللغة المعروفة وقد وقع التعبير به في مواضع عديدة من جمع الجوامع وغيره ا هـ شفاء. ع

١٠٧ ــ الثَّالِثَ عَشَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَيُقَالُ: أَبُو عَبْدِالرَّحْمَنِ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

بقوله تعالى: ﴿واسجد واقترب﴾[2] فكل سجدة فيها قرب مخصوص لتكفلها بالرقي إلى درجة من درجات القرب، وهكذا حتى ينتهي إلى درجة المرافقة لحبيبه ﷺ، فنتج من هذا الذي هو على منوال قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[3] إن القرب من رسول الله ﷺ لا يحصل إلا بالقرب من الله تعالى. وإن القرب من الله تعالى، لا ينال إلا بالقرب من رسوله ﷺ. فالقربان متلازمان لا انفكاك لأحدهما عن الآخر البتة، ومن ثم أوقع تعالى متابعة رسوله بين تلك المحبتين، ليعلمنا أن محبة العبد لله ومحبته للعبد متوقفتان على متابعة رسوله ا هـ. (رواه مسلم) وأحمد بن حنبل.

١٠٧ ــ (وعن أبي عبد الله ويقال:) في كنيته (أبو عبد الرحمن ثوبان) بفتح المثلثة وسكون الواو بعدها موحدة، وبعد الألف نون ابن بحدد وقيل: ابن جحدد (مولى رسول الله ﷺ) قال الكازروني في شرح المشارق: كان (رضي الله عنه) من اليمن وقيل: إنه حكمي من حكم بن سعد العشيرة. وقيل: من التمر. وقيل: من السرة موضع بين مكة واليمن أصيب سبياً فمر به رسول الله ﷺ فأعتقه، وقيل: اشتراه فأعتقه فلم يزل مع النبي ﷺ حتى قبض وتحول إلى حمص، له بها دار ضيافة مات بها سنة أربع وخمسين في زمن معاوية، وجميع مروياته ثمانية وعشرون حديثاً ا هـ. انفرد مسلم بالإخراج عنه عن البخاري، فأخرج له عشرة أحاديث. ذكره ابن الجوزي وغيره (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليك) اسم فعل بمعنى خذ والباء في (بكثرة السجود) زائدة لازمة (فإنك لن تسجد) مخلصاً (لله سجدة) أي: في ضمن ركعة أو لنحو تلاوة أو شكر، وإلا فالتعبد بالسجدة المنفردة غير مشروع (إلا رفعك الله بها درجة) أي: درجة (وحط عنك بها خطيئة) أي: خطيئة. وسبب رواية ثوبان لهذا الحديث أن معدان بن طلحة قال: أتيت ثوبان فقلت: أخبرني بعمل أعمل به يدخلني الله به الجنة، أو قال: بأحب الأعمال إلى الله، فكت ثم سأله فكت، ثم سأله الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: عليك فذكره وفي آخره، فلقيت أبا الدرداء فسألته فقال لي: مثل ما قال ثوبان (رواه مسلم). قال في الجامع الصغير: ورواه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه. (الحديث: ٢٢٥).
(٢) سورة العلق، الآية: ١٩. (٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

١٠٨ ــ الرَّابِعَ عَشَرَ عَنْ أَبِي صَفْوَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. «بُسْرٍ»: بِضَمِّ الْبَاءِ وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ(١).

أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ثوبان وأبي الدرداء، وهذان الحديثان ظاهران في أن تكثير السجود أفضل من طول القيام، وهو أحد مذاهب ثلاثة في ذلك، أصحها: أن تطويل القيام أفضل، وقد بسطت الكلام في ذلك كتاب الصلاة من شرح الأذكار.

١٠٨ ــ **(وعن أبي صفوان)** بفتح المهملة وسكون الفاء. وقيل: أبو بسر **(عبد الله بن بسر الأسلمي)** قال الكازروني في شرح المشارق: «المازني» وجرى عليه العامري في الرياض، لكن في أسد الغابة بعد أن نقل ذلك عن أبي منده قال: وهذا لا يستقيم، فإن سليماً أخو مازن، وليس لعبد الله حلف في سليم حتى ينسب إليهم بالحلف كان **(رضي الله عنه)** ممن صلى للقبلتين، ووضع ﷺ يده على رأسه ودعا له وقال: «يعيش هذا الغلام قرناً». فعاش مائة سنة وقال: لا يموت حتى يذهب هذا الثؤلول(٢) من وجهه. فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه. قال ابن الأثير صحب النبي ﷺ هو وأبوه وأمه وأخوه عطية وأخته الشماء. وحينئذ فكان حق المصنف أن يقول رضي الله عنهما. وفي التقريب للحافظ ابن حجر صحابي صغير له ولأبيه صحبة، توفي سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين سنة. وقيل: مات بحمص وهو آخر من مات بها، بل بالشام من الصحابة سنة ست وتسعين عن مائة سنة. روى عن رسول الله ﷺ خمسين حديثاً، أخرج له البخاري حديثاً ومسلم آخر **(قال: قال رسول الله ﷺ: خير الناس)** أي: أفضلهم **(من طال عمره وحسن عمله)** فاكتسب في طول الأيام **ما يقربه إلى مولاه ويوصله إلى** رضاه، وحسن العمل الإتيان به موفياً للشروط والأركان والمكملات **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن)** وكذا رواه أحمد وفي بعض النسخ رواه مسلم والترمذي، **وهو من غلط** النساخ **(بسر بضم الباء)** أي: الموحدة. وكان الإتيان بذلك أولى لبعده عن **الاحتمال** في الصورة الخطية، أهي الموحدة أم المثناة الفوقية أم التحتية **(وبسين مهملة)** وراء.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في طول العمر للمؤمن. (الحديث: ٢٣٢٩).
وأخرجه في كتاب: الزهد، باب: منه (٢٢) ما جاء في طول العمر للمؤمن (الحديث: ٢٣٣٠).

(٢) الثؤلول شيء يأتي في الوجه وهو واحد الثآليل ا هـ مختار.

١٠٩ ــ الْخَامِسَ عَشَرَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيُرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ (يَعْنِي أَصْحَابَهُ) وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ (يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ)، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ

---

١٠٩ ــ (وعن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي) أي: أخو والدي إذ هو أنس بن مالك ابن النضر وعمه **(أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر)** الإضافة لأدنى ملابسة أي: الكائن فيها، وبدر المحل المعروف. قيل: سمي باسم بئر ثم وقيل: لغير ذلك **(فقال:)** متحسراً **(يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين)** صفة قتال والعائد محذوف أي: فيه **(لئن)** اللام موطئة للقسم المحذوف أي: والله لئن و **(الله)** فاعل لفعل محذوف هو فعل الشرط وجواب الشرط محذوف، لدلالة جواب القسم عليه **(أشهدني)** أحضرني **(قتال المشركين)** يحتمل أن يكون مضافاً لفاعله، وأن يكون مضافاً لمفعوله، وحذف الضمير الدال عليه، تنزيهاً له أن يذكر في مقابلتهم **(ليرين الله ما أصنع)** جواب القسم والنون للتوكيد. قال القرطبي في المفهم: هذا الكلام يتضمن أنه ألزم نفسه إلزاماً مؤكداً، هو الإبلاغ في الجهاد والانتهاض فيه والإبلاغ في بذل ما يقدر عليه، ولم يصرح بذلك مخافة ما يتوقع من التقصير في ذلك وتبرياً من حوله وقوته، ولذا قال في رواية: فهاب أن يقول غيرها، ومع ذلك نوى بقلبه وصمم على ذلك بصحيح قصده، ولذا سماه الله عهداً. فقال: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[1] اهـ. **(فلما كان يوم أحد)** برفع يوم على أن كان تامة وبنصبه على الظرفية، والمعنى: يوم قتال أحد أو أراد باليوم الوقعة **(انكشف المسلمون)** بما وقع لهم من ترك منازلهم التي أنزلهم النبي ﷺ فيها حال التصافّ للحرب، ونهاهم عن التحول عنها، فلما انكسر المشركون وانهزموا؛ نزل بعض أولئك الأقوام عن تلك المنازل، فكان في تلك المخالفة سبب انهزامهم. **(فقال:)** أنس **(اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه)** المسلمين من الفرار **(وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين)** من قتال النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين **(ثم تقدم)** إلى القتال **(فاستقبله سعد بن معاذ)** منهزماً **(فقال: يا سعد)** يجوز ضمه وفتحه لأنه وصف بقوله **(ابن معاذ)** ويتعين

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ؛ فَقَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ! قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعاً وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ، أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1] إلى آخِرِهَا. مُتَّفَقٌ

نصب ابن لأنه مضاف (**الجنة**) بالنصب أي: أريد. والرفع أي: مطلوبي (**ورب النضر**) بفتح النون وإسكان المعجمة يعني أباه. وكل ما كان على هذه الصورة معرفاً فبالضاد المعجمة، ومنكراً فبالمهملة (**أي أجد ريحها**) أي: الجنة (**من دون أحد**) أي: من مكان أقرب منه، يحتمل أن يكون على الحقيقة وأنه وجد ريحها، ويجوز أن يكون أراد أنه استحضر الجنة التي أعدت للشهيد، فصور أنها في ذلك الموضع الذي يقاتل فيه فيكون المعنى: إني لأعلم أن الجنة تكتسب في هذا الموضع فاشتاق لها (**قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع**) أي: أن أصنع ما صنع ورواية مسلم: فقاتلهم حتى قتل. وهي ظاهرة كما قال القرطبي في أنه قاتلهم وحده، فيكون فيه دليل على جواز ذلك بل على ندبه ا هـ. (**قال أنس: فوجدنا به بضعاً**) بكسر الباء وسكون الضاد المعجمة ما بين الثلاث إلى التسع. وقيل: ما بين الواحد إلى العشر، وسيأتي بسط الكلام فيه في باب بيان كثرة طرق الخير. (**وثمانين ضربة بالسيف أو**) هي للتنويع (**طعنة برمح أو رمية**) بفتح الراء المهملة واحدة الرمي (**بسهم ووجدناه قد قتل**) بالبناء للمجهول لعدم العلم بعين قاتليه (**ومثل**) بتشديد المثلثة (**به المشركون**) حتى خفي على أهله (**فما عرفه أحد**) منهم (**إلا أخته**) أي: أخت أنس بن النضر وهي: الربيع بضم الراء وفتح الباء الموحدة وتشديد التحتية (**ببنانه**) أي: بأصابعه. ومنه قوله تعالى: ﴿أن نسوِّي بنانه﴾[2] وفي رواية: بشامته (**قال أنس: كنا نرى**) بضم النون بمعنى نظن (**أو نظن**) شك من الراوي في لفظ أنس، وإن كان معناهما واحداً ففيه مزيد الاحتياط في الرواية. وعند مسلم: «فكانوا يرون» إلخ يعني به: أن الصحابة كانوا يظنون (**أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه**) وقيل أنزلت في السبعين وهم أهل العقبة الثانية الذين بايعوه ﷺ أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، فوفوا بذلك، قاله الكلبي وقيل: غير ذلك والآية (**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**) إلى آخرها أو إلى قوله: ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾[3] أي: استمروا على ما التزموا ولم يقع منهم نقض فيما أبرموا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣. (٢) سورة القيامة، الآية: ٤. (٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

عَلَيْهِ. قَوْلُهُ: «لَيُرِيَنَّ اللَّهُ» رُوِيَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ: أَيْ لِيُظْهِرَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ. وَرُوِيَ بِفَتْحِهِمَا وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

١١٠ ــ السَّادِسَ عَشَرَ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الأَنْصارِيِّ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَاءٍ، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا! .....

(**متفق عليه**) ورواه الترمذي (**ليرين الله روى بضم الياء**) التحتية (**وكسر الراء المهملة أي ليظهرن الله ذلك**) الذي أصنعه من الجهاد في سبيله (**للناس وروي بفتحهما ومعناه ظاهر**) وفي نسخة من البخاري ليراني الله بإبقاء ألف الفعل على أصلها، وحذف نون التوكيد وإبقاء نون الوقاية عكس الرواية الأولى، ومعناه كمعنى الرواية الثانية (**والله أعلم**).

١١٠ ــ (**وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري**) سكن بدراً ولم يشهد وقعتها على الصحيح عند جماعة من أصحاب المغازي والمحدثين، لكن الذي جرى عليه البخاري في صحيحه: أنه شهدها. ورجحه الحافظ في فتحه وشهد العقبة الثانية. روى عن رسول الله ﷺ مائة حديث وحديثين، اتفقا على سبعة منها وانفرد البخاري بواحد ومسلم بتسعة. توفي بعد علي (**رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الصدقة**) قال في فتح الباري: كأنه يشير إلى قوله تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾[2] الآية: (**كنا نحامل على ظهورنا**) سيأتي معناه وقال الخطابي: يريد تكلف الحمل بالأجرة لنكتسب ما نتصدق به. وفي رواية أخرى للبخاري: «انطلق أحدنا إلى السوق يتحامل» (**فجاء رجل**) هو عبد الرحمن بن عوف (**فتصدق بشيء كثير**) كان ثمانية آلاف درهم أو أربعة آلاف درهم، وقيل: أربعون أوقية من الذهب (**فقالوا: مراء**) اسم فاعل من المراءاة، وهي: العمل ليراه الناس فيكتسب منهم غرضاً دنيوياً (**وجاء رجل**) هو أبو عقيل وقيل: غيره (**فتصدق بصاع**) هو أربعة أمداد نبوية، فيكون: خمسة أرطال وثلثاً بغدادية. وكان تحصيله له، بأن أجر نفسه على النزع من البئر بالحبل بصاعين من تمر، فذهب بصاع لأهله وتصدق بالآخر (**فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا**) سمي من اللامزين في مغازي الواقدي معتب بن قشير وعبد الرحمن بن نبتل، بنون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ (٦/١٦، ١٧).
وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد. (الحديث: ١٤٨).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

فَنَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[١] الآية، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَ«نُحَامِلُ» بِضَمِّ النُّونِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ: أَيْ يَحْمِلُ أَحَدُنَا عَلَى ظَهْرِهِ بِالْأُجْرَةِ وَيَتَصَدَّقُ بِهَا[٢].

١١١ ــ السَّابِعَ عَشَرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ

ومثناة فوقية مفتوحتين بينهما موحدة ساكنة ثم لام. كذا في فتح الباري. **(فنزل: الذين)** مبتدأ وخبره سخر الله منهم **(يلمزون)** أي: يعيبون **(المطوعين)** بتشديد الطاء المهملة وأصله المتطوعين. أدغمت التاء في الطاء أي: المتنفلين **(من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم)** طاقتهم فيأتون به **(الآية)** إلى قوله: ﴿ولهم عذاب أليم﴾[٣] **(متفق عليه)** ورواه النسائي وابن مرديه وغيرهم **(ونحامل بضم النون وبالحاء المهملة)** وكسر الميم **(أي: يحمل أحدنا على ظهره بالأجرة)** طلباً لتحصيل ما يتوصل به إلى الصدقة **(ويتصدق بها)** طلباً لمرضاة الله تعالى. فالصيغة للمبالغة ففيه أن العبد يطيع مولاه جهده وطاقته وحسب قدرته واستطاعته.

١١١ ــ **(وعن سعيد بن عبد العزيز)** التنوخي، مفتي دمشق وعالمها، قرأ على ابن عامر وسمع مكحولاً وسأل عطاء لما حج، قال أحمد: هو والأوزاعي عندي سواء. كان بكاءً خوافاً سُئل فقال: ما قمت إلى صلاة إلا مثلت لي جهنم. وقال أبو مسهر: سمعته يقول: ما لي كتاب. وقال سفيان: ثقة ثبت مات سنة مائة وسبع وستين من أبناء الثمانين. روى له مسلم وأصحاب السنن الأربعة **(عن ربيعة)** بوزن قبيلة **(ابن يزيد)** القصير يكنى ربيعة بأبي شعيب، وهو فقيه أهل دمشق مع مكحول. قال فرج بن فضالة: كان يفضل على مكحول. استشهد بإفريقية سنة مائة واثنتي عشرة. روى له الستة **(عن أبي[٤] إدريس الخولاني)** بفتح

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة (٣/٢٢٤ و٨/٢٤٩).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: الحمل أجرة يتصدق بها. والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل. (الحديث: ٧٢).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٤) قوله أبي إدريس عائذ الله بذال معجمة بعد الهمزة ابن عبد الله بن عمر وعلى المشهور الخولاني الشامي ولد يوم حنين وولاه معاوية القضاء بدمشق وكان من عباد الشام وقرائهم توفي سنة ثمانين ا هـ كرماني.

اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، .....

الخاء المعجمة وسكون الواو نسبة لخولان قبيلة نزلت بالشام. واسمه عائذ الله قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء. ولد يوم حنين، مات سنة ثمانين، روى له الستة، ذكر هذا الذهبي في الكاشف **(عن أبي ذر جندب)** بضم الجيم وفتح الدال **(ابن جنادة)** وتقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** أول باب المراقبة **(عن النبي ﷺ فيما يروي)** عن جبريل عليه السلام، كما في الأذكار وغيرها، وهو كذلك في بعض طرقه كما نبه عليه الحافظ العلائي **(عن الله تبارك)** قال في الصحاح: أي: بارك مثل قاتل وتقاتل، إلا أن فاعل يتعدى وتفاعل لا يتعدى **(وتعالى)** وهذا من الأحاديث القدسية، وسبق الفرق بينها وبين القرآن في باب الصبر **(أنه قال: يا عبادي)** بكسر أوله وتخفيف ثانيه، وهو أحد جموع لفظ عبد، وله عشرون جمعاً ذكرتها نظماً في أول شرح الأذكار. وهو هنا وفيما يأتي وفي نظائره يتناول الأحرار والأرقاء من الذكور، وكذا من النساء إجماعاً، لكن لا وضعاً بل بقرينة التكليف **(أني حرمت الظلم على نفسي)** قال ابن القيم: تحريم الله الفعل على نفسه يستلزم عدم وقوعه، ثم قال: وإذا كان معقولاً من الإنسان أن يأمر نفسه وينهاها كما قال تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾[1] وكما قال: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾[2]. مع كونه تحت أمر غيره. فالآمر الناهي الذي ليس فوقه آمر ولا ناه، كيف يستحيل في حقه أن يحرّم على نفسه أو يكتب عليها، فيحرم على نفسه بنفسه ويكتب على نفسه، ولا يلتفت إلى ما قيل في ذلك من التأويلات الباطلة ا هـ. ملخصاً. وقد نقلت كلامه برمته في أواخر شرح الأذكار، وهو يقتضي أن الظلم متصور منه تعالى، إلا أنه منع منه نفسه؛ فلا يفعله عدلاً منه وتنزهاً عنه، قال جمع: واعترض بأنه إن أريد جوازه بناء على تفسيره بما هو ظلم عند العقل لو خلي ونفسه من حيث عدم مطابقته لقضيته، فله نوع احتمال. والجمهور على استحالة تصور الظلم في حقه تعالى. إذ هو لغة: وضع الشيء في غير محله. وعرفاً: التصرف في حق الغير بغير حقٍ أو مجاوزة الحد، وهو بمعنييه محال في حقه تعالى، إذ ليس فوقه من يطيعه تعالى حتى يحد له حداً. فيقال: إنه جاوزه، ولا حق لأحد معه سبحانه، بل هو الذي خلق المالكين وأملاكهم، وتفضل عليهم بها، وحد لهم حدوداً وحرّم وأحل، فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه تعالى عن ذلك، ولاستحالته في حقه تعالى قال بعضهم: سمى تقدسه عن

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٢) سورة النازعات، الآية: ٤٠.

وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمَاً فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، ....

الظلم تحريماً لمشابهته الممنوع في تحقق العدم، قيل: قضية هذا الحديث جواز إطلاق لفظ النفس عليه تعالى. قال بعضهم: وهو ظاهرٌ حيث كان من باب المقابلة كما هنا، إذ المعنى: حرمته على نفسي فنفوسكم بالأولى، كما أفاده قوله: وجعلته بينكم محرماً أما إطلاقه في محل لا مقابلة فيه، فلا يظهر جوازه؛ لإيهامه حقيقة النفس، وهي محال عليه تعالى. وقيل: يجوز إطلاقه عليه بناء على أنه مأخوذ من النفاسة، ولا يشكل على الأول إطلاق الذات عليه تعالى في قول خبيب رضي الله عنه، عند إرادة قتله. وذلك في ذات الإله لأنه ذات الشيء. حقيقته فلا إشعار فيها بحدوث بخلاف لفظ النفس، فإنه يشعر بالتنفس والحدوث فامتنع إطلاقه عليه إلا في مقام المقابلة، إذ هو قرينة ظاهرة، على أن المراد به في حقه تعالى غير حقيقته وما يتبادر منه. وأيضاً ففي إطلاقه عليه تعالى من غير مقابلة إيهام شمول قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[1] له تعالى الله عن ذلك **(وجعلته بينكم محرماً)** أي: حكمت بتحريمه عليكم. وهذا مجمع عليه في كل ملة، لاتفاق سائر الملل على مراعاة حفظ الأنفس فالأنساب فالأعراض فالعقول فالأموال. والظلم قد يقع في هذه أو بعضها وأعلاه الشرك قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[2] وهو المراد بالظلم في أكثر الآيات، ثم يليه المعاصي على اختلاف أنواعها **(فلا تظالموا)** بفتح التاء وتخفيف الظاء على الأشهر، وروي بتشديدها ففيه حذف إحدى التاءين وإدغامها في الظاء أي: لا يظلم بعضكم بعضاً، وهذا توكيد لقوله: «وجعلته بينكم محرماً» وزيادة في تغليظ تحريمه **(يا عبادي)** كرر النداء زيادة في تشريفهم، ولذا أضافهم إليه وتنبيهاً على فخامة ما بعده. وجمعه لإفادة الاستغراق **(كلكم ضال)** أي: غافل عن الشرائع قبل إرسال الرسل. أو ضال عن الحق لو ترك ونفسه **(إلا من هديته)** من الضلال بالتوفيق للإيمان بما جاءت به الرسل على المعنى الأول، أو للوصول إلى الحق بالنظر الموصل إلى معرفة الله تعالى، وامتثال ما جاء من عنده على المعنى الثاني. وعلى كل من المعنيين فلا ينافي حديث: «كل مولود يولد على الفطرة» لأن ذلك ضلال طارىء على الفطرة الأولى، كما يرشد إليه حديث: «خلق الله الخلق على معرفته فاغتالهم الشيطان» والأصح أن المراد من معنى خبر: كل مولود إلخ. أن كل مولود يخلق متهيئاً للإسلام، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً، استمر عليه في أحكام الدارين، وإن كانا كافرين جرى عليه حكمهما فيتبعهما في أحكام الدنيا، وهذا معنى فيهودانه

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥. (٢) سورة لقمان، الآية: ١٣.

فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ،

وينصرانه. أي: يحكم له بحكمهما في الدنيا، فإذا بلغ مستمراً على الكفر، حكم له به فيهما. واختلف أيضاً فيمن مات صغيراً. والأصح أنه في الجنة والحاصل: أن الإنسان مفطور على قبول الإسلام، والتهيؤ له بالقوة، لكن لا بد أن يتعلمه بالفعل، فإنه قبل التعليم جاهل قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾[1] فمن هداه سبب له من يعلمه الهدى فصار مهدياً بالفعل بعد أنه كان مهدياً بالقوة، ومن خذله والعياذ بالله قيض له من يعلمه ما يغير فطرته بأمر بتهود أو تنصر أو تمجس. قال المصنف: وفي هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدي هو من هداه الله، وبهدي الله اهتدى، وبإرادة الله تعالى ذلك، وأنه سبحانه أراد هداية بعض عباده، وهم المهتدون ولم يرد هداية الآخر، ولو أرادها لاهتدى قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾[2] **(فاستهدوني)** اطلبوا مني الهداية. بمعنى: الدلالة على طريق الحق والإيصال إليها معتقدين أنها لا تكون إلا من فضلي **(أهدكم)** أنصب لكم أدلة ذلك الواضحة، وأوصل من شئت إيصاله في سابق العلم القديم الأزلي، وحكمة طلبه تعالى من السؤال للهداية، إظهار الافتقار منا والإذعان والإعلام بأنه لو هداه قبل أن يسأله؛ لربما قال: إني أوتيته على علم عندي، فيضل بذلك، فإذا سأل ربه فقد اعترف على نفسه بالعبودية، ولمولاه بالربوبية. وهذا مقام شريف لا يتفطن له إلا الموفقون. وهذا البيان: طريق حصول النفع الديني ودفع الضرر من ذلك، وقدمه اهتماماً واحتفالاً بشأنه **(يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته)** لأن الناس كلهم عبيد لا ملك لهم في الحقيقة، وخزائن الرزق بيده؛ فمن لم يطعمه بفضله بقي جائعاً بعدله إذ ليس عليه إطعام أحد فقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾[3] التزام منه تفضلاً، لا أنه عليه واجب بالأصالة، ولا يمنع نسبة الإطعام إليه ما يشاهد من ترتب الأرزاق على أسبابها الظاهرة من أنواع الكسب، لأنه تعالى المقدر لتلك الأسباب الظاهرة بقدرته وحكمته الباطنة، فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن، والعارف الكامل لا يحجبه ظاهر عن باطن ولا عكسه، بل يعطي كل مقام حقه **(فاستطعموني)** أي: سلوني واطلبوا مني الطعام.

(أطعمكم)، أي: أيسر لكم أسباب تحصيله إذ العالم جماده وحيوانه مطيع لله تعالى

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.
(٢) سورة يونس، الآية: ٩٩.
(٣) سورة هود، الآية: ٦.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا

طاعة العبد لسيده، فتصرفاته تعالى في العالم عجيبة لمن تدبرها، فيسخر السحاب لبعض الأماكن، ويحرك قلب فلان لإعطاء فلان، ويحوج فلاناً لفلان، وفيه تأديب للفقراء. كأنه قال: لا تطلبوا النعمة من غيري، فإن من تستطعمونهم أنا الذي أطعمهم، فاستطعموني أطعمكم **(يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته. فاستكسوني أكسكم)** وفي هذا جميعه أوفى تنبيه، وأظهر تقرير على افتقار سائر خلقه تعالى إليه، وعجزهم عن جلب منافعهم ودفع مضارهم، إلا أن ييسر لهم ما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا تمسك إلا بسببه. وهذان مثالان لدفع الضرر الدنيوي، وجلب النفع من ذلك، واقتصر عليهما لكمال حاجة الإنسان إليهما. **(يا عبادي إنكم تخطئون)** قال المصنف: بضم التاء وروي بفتحها وفتح الطاء، يقال: خطىء يخطأ إذا فعل ما يأثم به فهو خاطىء. ومنه قوله تعالى: ﴿استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾[1]. ويقال في الإثم أيضاً. أخطأ فهما صحيحان اهـ. والمخاطب بهذا هنا غير معصوم[2] **(بالليل والنهار)** هو من باب المقابلة لاستحالة وقوع الخطأ من كل منهم ليلاً ونهاراً **(وأنا أغفر الذنوب جميعاً)** ما عدا الشرك والذي لا يشاء مغفرته قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[3] وفي اعتراض هذه الجملة مع التأكيد فيها بشيئين، أل الاستغراقية وجميعاً المفيد كل منهما العموم غاية الرجاء للمذنبين، حتى لا يقنط منهم أحد من رحمة الله تعالى لعظم ذنبه **(فاستغفروني أغفر لكم)** أصل الغفر: الستر فغفر الذنب ستره ومحو أثره وأمن عاقبته، وحكمة التوطئة لما بعد الفاء بما قبلها؛ بيان أن غير المعصوم والمحفوظ لا ينفك غالباً عن المعصية. فحينئذ يلزمه أن يجدد لكل ذنب ولو صغيرة توبة، وهي المرادة هنا من الاستغفار، إذ ليس فيه مع عدمها كبير فائدة، وشتان بين ما يمحوه بالكلية، وهو التوبة النصوح. وبين ما يخفف عقوبته أو يؤخرها إلى أجل، وهو مجرد الاستغفار. **(يا عبادي إنكم**

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٧.

(٢) ويجوز إبقاء لفظ «عبادي» على التعميم الشامل للمعصوم وغيره. ويراد بالخطأ ما يشمل الذنب وخلاف الأولى اللائق بمقام الفاعل من إطلاق اللفظ على حقيقته ومجازه أو من عموم المجاز. ش.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.

عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ .....

لن تبلغوا ضري[1] **فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)** لما قام من الإجماع والبرهان على أنه تعالى منزه مقدس غني بذاته لا يمكن أن يلحقه ضر ولا نفع، فهو تعالى إن أحسن إلى عباده بغاية وجوه الإحسان، غير محتاج إلى مكافأتهم بجلب نفع أو دفع ضر، ومن ثم قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[2] ونفع عباداتهم إنما يعود عليهم. كما قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾[3]. ومحبته تعالى لها، وفرحه بها لكمال رحمته بهم ورأفته عليهم. وما اقتضاه ظاهر الحديث من أن لضره ونفعه غاية، لكن لا يبلغها العباد متروك بما دل عليه الإجماع والبرهان من غناه المطلق، أو أنه من باب «على لاحب[4] لا يهتدي بمناره» أي: لا منار له فيهتدي به والمعنى: لا يتعلق بي ضر ولا نفع فتضروني أو تنفعوني، لأنه تعالى غني مطلق والعبد فقير مطلق. **(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم)** سموا بذلك لظهورهم، أو أنهم يؤنسون **(وجنكم)** سموا به لاجتنانهم أي: اختفائهم **(كانوا على)** تقوى **(قلب أتقى رجل منكم)** وفي نسخة على أتقى قلب رجل وكذا قرينه الآتي قيل: أراد به هنا: محمداً ﷺ **(ما زاد ذلك في ملكي شيئاً)** أي: لا يعود نفع ذلك إلى الله، بأن يزيد في ملكه، بل نفعه قاصر على فاعله **(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على)** فجور **(قلب أفجر رجل واحد)** أي: على صورته؛ لما قيل: إن المراد إبليس لعنه الله، وفي ترك الخطاب. هنا تنبيه على أن الأدب فيه، ألا يضاف المكروه للمخاطب **(ما نقص ذلك)** العصيان **(من)** كمال **(ملكي شيئاً)** ففي ذلك إشارة إلى أن ملكه تعالى على غاية الكمال لا يزيد بطاعة جميع الخلق، وكونهم على أكمل صفات البر والتقوى، ولا ينقص بمعصيتهم؛ لأنه تعالى الغني المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله الكامل، فلا نقص يلحقه بوجه. **(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد)** أي: أرض واحدة ومقام واحد **(فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك)**

---

(١) الضر ضد النفع من باب رد.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٤) بالمهملة والموحدة أي طريق.

مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيها لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ .....

أي: إعطاء كل سائل مسئوله **(مما عندي)** من الخزائن الإلهية **(إلا كما ينقص المخيط)** هو بكسر فسكون ففتح الإبرة **(إذا أدخل البحر)** وهو في رأي العين لا ينقص شيئاً من البحر، فكذا الإعطاء من الخزائن الإلهية لا ينقصها شيئاً التبة، لأنها من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان ولا نهاية لهما. والنقص مما لا يتناهى محال بخلافه مما يتناهى، كالبحر وإن جل وعظم وكان أكبر المرئيات في الأرض، بل قد يؤخذ العطاء الكثير من المتناهي، ولا ينقص كالنار والعلم، تقتبس منهما ما شاء الله، ولا ينقص منهما شيء، بل قد يزيد العلم على الإعطاء، فعلم أن قوله: إلا كما ينقص المخيط. إلخ. ليس المراد منه حقيقته، وإنما هو تمثيل يقرب إلى الفهم ليعلم منه أنه لا ينقص في تلك الخزائن البتة، لا لعدم نقص ماء البحر من غرز المخيط، فالجامع بين المشبه والمشبه به عدم النقص من حيث المشاهدة الصورية، فهما وإن افترقا في أنا إذا نظرنا إليهما بعين الحقيقة، وجدنا البحر ينقص بهذا الشيء الحقير المأخوذ منه الذي لا يدرك لنا، وتلك الخزائن لا ينقصها شيء مما أفاضه الله تعالى منها، من حين خلق السموات والأرضين إلى انقضاء هذا العالم، ثم من حين بعثه إلى ما لا نهاية له، لما تقرر من استحالة نقص ما لا يتناهى. وفي هذا تنبيه وأي تنبيه للخلق على إدامتهم لسؤاله تعالى، مع إعظام الرغبة وتوسيع المسألة، فلا يختصر سائل بل يسأل ما أحب، لما تقرر أن خزائن النعم سحاء الليل والنهار لا ينقصها الإعطاء وإن جل وعظم. وقيل: إن ذلك إشارة إلى النعمة المخلوقة، وهي يتصور فيها النقص كالبحر. ونقص، استعمل لازماً كنقص المال، ومتعدياً كما هنا، إذ مفعول الماضي والمضارع محذوف بدليل السياق. **(يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها)** أي: أضبطها **(لكم)** بعلمي وملائكتي الحفظة، واحتيج إليهم معه لا لنقصه عن الإحصاء، بل ليكونوا شهداء بينه وبين خلقه، وقد يضم إليهم شهادة الأعضاء زيادة في العدل. والحصر المستفاد من إنما هو بالنسبة لجزاء العمل. أي: لأجزاء ينقسم إلى خير وغيره. إلا عن عمل يكون سبباً له فلا ينافي المزيد عليه الثابت بالنص في قوله تعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾[1] وبالإجماع لأنه ليس في حديث الباب تعرض لذلك بنفي ولا إثبات، وقد صحت فيه نصوص أخرى لا تعارض لها فوجب الأخذ بها **(ثم أوفيكم إياها)** أي: جزاءها في الآخرة على حد: ﴿وإنما توفون أجوركم يوم

(١) سورة قّ، الآية: ٣٥.

وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». قَالَ سَعِيدُ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. .....

القيامة﴾[1] فلما حذف المضاف انقلب المجرور منفصلاً منصوباً، أو في الدنيا أيضاً، لما روي أن النبي ﷺ فسر ذلك بأن المؤمنين يجازون بسيئاتهم في الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم **(فمن وجد خيراً)** أي: ثواباً ونعيماً بأن وفق لأسبابهما، أو حياة طيبة هنيئة مريئة **(فليحمد الله)** على توفيقه للطاعات التي ترتب عليها ذلك الخير والثواب، فضلاً منه ورحمة. وعلى إسدائه ما وصل إليه من عظيم المبرات، فإن أريد بذلك الآخرة فقط كان الأمر والنهي في ذلك بمعنى الإخبار. أي: من وجد خيراً حمد الله عليه، ومن وجد غيره لام نفسه حيث لا ينفع الملام. وجاء في آيات الإخبار عن أهل الجنة بأنهم يحمدون الله، وعن أهل النار بأنهم يلومون أنفسهم **(ومن وجد غير ذلك)** أي: شراً ولم يذكره بلفظه تعليماً لنا كيفية الأدب في النطق بالكفاية عما يؤذي، ومثله ما يستقبح ويستحى من ذكره. وإشارة إلى أنه إذا اجتنب لفظه فكيف الوقوع فيه، وإلى أنه تعالى حي كريم يحب الستر ويغفر الذنب، فلا يعاجل بالعقوبة ولا يهتك الستر **(فلا يلومن إلا نفسه)** فإنها آثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا مولاها، فاستحقت أن يعاملها بمظهر عدله وأن يحرمها مزايا جوده وفضله. نسأل الله العافية من ذلك، وأن يمنَّ علينا بالسلامة من خوض غمرة هذه المهالك إلى أن نلقاه آمنين مبشرين بقربه ورضاه آمين. ووجه ختم الحديث بهذه الجملة التنبيه على أن عدم الاستقلال بالإطعام والستر لا يناقض التكليف بالفعل تارة وبالترك أخرى، لأنا وإن علمنا أنا لا نستقل. لكننا نحس بالوجدان الفرق بين الحركة الاضطرارية كحركة المرتعش. والاختيارية كحركة التسليم فهذه التفرقة راجعةٌ إلى ممكن محسوس مشاهد، وأمر معتاد يوجد مع الاختيار دون الاضطرار. وهذا هو مورد التكليف المعبر عنه بالكسب، فلا تناقض ولا تعسف. والحاصل: أن المعاصي التي ترتب عليها العقاب، وإن كانت بقدر الله وخذلانه فهي بكسب العبد، فليلم نفسه لتفريطه بالكسب القبيح **(قال سعيد:)** بن عبد العزيز **(كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا)** بالمثلثة بعد الجيم أي: جلس **(على ركبتيه)** تعظيماً له وإجلالاً **(رواه مسلم)** وهو حديث عظيم رباني. مشتمل على قواعد عظيمة في أصول الدين وفروعه وآدابه ولطيف الغيوب وغيرها. وقد ختم به المصنف أذكاره، وبينت في شرحي حكمة ذلك، وقد أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي. وقد بسطت الكلام ثمة على بيان

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

وَرَوَيْنَا عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَيْسَ لِأَهْلِ الشَّامِ حَدِيثٌ أَشْرَفُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ[1].

١٢ ــ باب: في الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[2]: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْمُحَقِّقُونَ: مَعْنَاهُ: أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً، وَيُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الَّذِي

مخرجيه واختلافهم في رواياتهم بما فيه بسط وطول **(وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث)** قال السخاوي في تخريج الأربعين الحديث التي جمعها المصنف: وكذا قال أبو مسهر نفسه فيما حديث أبو الحسن علي بن إسحاق البحري المادراني عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصغاني شيخ مسلم فيه عنه.

باب الحث

بالمثلثة أي: الحض **(على الازدياد)** افتعال من الزيادة. وأبدلت المثناة الفوقية دالاً لوقوعها بعد الزاي **(من الخير)** أي: الطاعات والبر الموصلة إلى مرضاة الله عز وجل **(في أواخر العمر)** لأنه أوان الختام، وبحسنه تحصل ثمرات الطاعات وبركات الحسنات **(قال الله تعالى: أولم نعمركم)** هو استفهام توبيخ وتقرير **(ما يتذكر فيه من تذكر)** ما موصولة. أي: المدة التي يتذكر فيها المتذكر. ويجوز أن تكون نكرة موصوفة. أي: تعميراً أو زمناً يتذكر فيه من تذكر **(وجاءكم النذير)** قال البيضاوي: عطف على معنى ﴿أولم نعمركم﴾[3] فإنه للتقرير. كأنه قيل: عمرناكم وجاءكم النذير. **(قال ابن عباس والمحققون:)** من المفسرين **(معناه أولم نعمركم ستين سنة ويؤيده الحديث الذي سنذكره)** أول أحاديث الباب **(إن شاء الله تعالى)** وعند ابن أبي حاتم عن عطاء مرفوعاً إذا كان يوم القيامة قيل: أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾[4] وكذا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم. (الحديث: ٥٥).

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣٧.